الباب الثاني

من الميلاد إلى البعثـــة

- بداية أمر رسول الله ﷺ .
- أمران هامان وقعا لعبد المطلب قبل مولد رسول الله ﷺ .
- نسب رسول الله ﷺ .
- أسرة رسول الله ﷺ "الأسرة الهاشمية" .
- زواج عبد الله بآمنة بنت وهب .
- المولد الشريف .
- الرضاع .
- حادثة شق الصدر وعودة محمد ﷺ إلى أمه .
- كفـلاء المصطفى ﷺ .
- مظاهر الكمال المحمدى .

الباب الثاني
من الميلاد إلى البعثة

بداية أمر رسول الله ﷺ

كان بداية أمر المصطفى ﷺ ، دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وذلك أنه أثناء قيامهما ببناء البيت العتيق، كانا يدعوان ربهما أن يبعث في ذريتهما رسولاً من أنفسهم. قال تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)** ﴾ .

[البقرة: ١٢٩] .

وقد قرر رسول الله ﷺ هذه الحقيقة، عندما سُئِلَ عن مبدأ أمره، فقال ﷺ : "**أنا دعوةُ أبي إبراهيم، وبشارةُ أخي عيسى، عليهما السلام**" .

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦)** ﴾ [الصف: ٦] .

ولقد أخذ الله الميثاق على كل نبي نبَّأه، ورسول أرسله، أن يؤمن بمحمد ﷺ وينصره متى بُعث، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)** ﴾ .

[آل عمران : ٨١] .

ولقد كان أهل الكتاب من يهود ونصارى على علم ببعثة رسول الله ﷺ ، فقد كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج به ويقولون، إن نبياً سيبعث قريباً، سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وأرم، قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾** ﴾ [البقرة : ٨٩] .

ولقد كان سبب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه تتبع خبر النَّبي ﷺ وصفاته من الإنجيل والرهبان وعلماء الكتاب.

أمران هامان وقعا لعبد المطلب
قبل مولد رسول الله ﷺ

أولاً: واقعة حفر زمزم:

وخلاصة هذا الحدث أن عبد المطلب أُمر في المنام بحفر زمزم، ووُصف له موضعها. فلما حاول إعادة حفرها منعته قريش، ولم يكن له يومئذ من ولد يُعينه على تحقيق مراده غير الحارث، فنذر لله تعالى إن رزقه عشرة من الولد، يحمونه ويعينونه، ذبح أحدهم. ولما رزقه الله عشرة من الولد، وأراد أن يفي بنذره لربه، أخبر أبنائه بنذره فأطاعوه، فكتب أسماءهم في قداح، وأعطاها قيم هبل، فضرب القداح، فخرج القداح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش، ولاسيما أخواله من بني مخزوم وشقيقه أبي طالب.

فقال عبد المطلب ولكني نذرت، فأشاروا عليه أن يأتي عرافة فيستأمرها، فأتاها فأمرت بضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل، وكلما خرجت على عبد الله يزيد عشراً من الإبل حتى يرضى ربه. ففعل، وظلوا يزيدون عدد الإبل حتى وصل عددهم مائة، فوقعت القرعة عليها، فقال رجال من قريش قد انتهى رضا ربك ياعبد المطلب، فأبى إلا أن يضرب عنها القداح ثلاث مرات ففعل، فكانت في كل مرة تخرج على الإبل، وعندها رضى عبد المطلب ونحر الإبل، ثم تركها لايرد عنها أنساناً ولا سبعاً. وكانت الدية في قريش وفي العرب، عشراً من الإبل، فأصبحت بعد هذه الواقعة مائة من الإبل، وأقرها الإسلام.

وأكرم الله عبد المطلب بإعادة حفر زمزم، إذ وافقته قريش على حفرها[١] . ووجد بعد الحفر الأشياء التي دفنها الجراهمة، حين اضطروا إلى الجلاء عن مكة، أي السيوف والدروع وغزالين من الذهب، فضرب الأسياف باباً للكعبة، وأقام سقاية زمزم للحجاج.

الدروس المستفادة من إعادة حفر زمزم:

[١] كرامات عبد المطلب التي أكرمه الله بها، كرؤيا بئر زمزم، والماء الذي نبع من تحت خف ناقته، وخروج القداح على الإبل لا على ولده التي هي في الحقيقة من بشائر النبوة المحمدية.

[٢] إبطال بدعة ضرب القداح، قال تعالى: ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ [المائدة: ٣] .

[٣] تحريم التقرب لله تعالى بقتل النفس. وكان هذا مباحاً قبل الإسلام.

[٤] ضرورة الوفاء بالنذر في الطاعة، وطاعة الأبناء لأبيهم في الوفاء بنذره.

[٥] مشروعية الإقتراع في الأمور المباحة.

[٦] تقرير دية الرجل مائة من الإبل،والمرأة على النصف منها،وأقرها الإسلام.

---

(١) كانت موافقة قريش لعبد المطلب على حفر زمزم، لآية شاهدتها، وهى أنهم لما منعوه من حفرها، ارتضوا أن يتحاكموا إلى كاهنة بنى سعد بأعالى الشام، فذهبوا إليها وأثناء سيرهم نفذ الماء الذى كان معهم، وعطشوا حتى ظنوا الهلاك، وإذا بعين تتفجر تحت خف ناقة عبد المطلب، فقاموا وشربوا وعندها أذعنوا لأمر عبد المطلب ورضوا له بحفر زمزم، خالصة له دون غيره.

ثانياً: واقعـــة الفيـــل :

وخلاصة هذه الواقعة أن أبرهة الصباح الحبشي [١] ، لما رأى العرب يحجون إلى الكعبة، بنى كنيسة كبيرة بصنعاء "القُلَّيْس" ، وأخذ يدعوا الناس للحج إليها، بدلاً من الكعبة في مكة المكرمة، لتتحول تجارة العرب إلى اليمن. فسمع بذلك رجل من بنى كنانة فدخلها ولطخ قبلتها بالعذرة. فلما علم أبرهة بذلك ثار غيظه، وسار بجيش عدته ستون ألف جندي إلى الكعبة ليهدمها، وأختار لنفسه فيلاً من أكبر الفيلة، وكان في الجيش تسعة فيلة أو ثلاثة عشر فيلاً.

سار أبرهة في طريقه وكلما اعترضته قبيلة من القبائل العربية لتصده قاتلها وهزمها. حتى انتهى إلى مشارف الحرم، فبعث رجاله، فساقوا ماشية أهل مكة ومن بينها مائتا بعير لعبد المطلب، ثم دارت مفاوضات طالب فيها عبد المطلب بإبله، وقال: "إن للبيت رباً يحميه" ،ثم وقف بباب الكعبة المشرفة وأخذ يدعوا ربه.

ولما وصل أبرهة إلى وادي محسر، بين المزدلفة ومنى، برك الفيل، ولم يقم ليقدم إلى الكعبة، وكان كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم فيهرول، وإذا صرفوه إلى الكعبة برك. ثم أرسل الله عز وجل طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلتهم كعصف مأكول. فهلك رجال جيشه على كل منهل. أما أبرهة فأرسل الله عليه داء، تساقطت بسببه أنامله، ولم يصل إلى صنعاء إلا وهو مثل الفرخ، وأنصدع صدره عن قلبه، ثم هلك.

وقد أنزل المولى عز وجل سورة الفيل متضمنة هذه الحادثة. قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤** ﴾ [الفيل] وكانت هذه الواقعة في شهر الله المحرم قبل مولد رسول الله ﷺ بخمسين يوماً أو بخمسة وخمسين يوماً على الأكثر، أي في أواخر فبراير أو أوائل مارس سنة ٥٧١م.

---

(١) كان أبرهة الحبشي النائب العام عن النجاشي على اليمن حينذاك.

الدروس المستفادة من واقعة الفيل:

[١] حماية الله لبلده وحرمه بإهلاك كل من يحاول أن يتطاول عليها.

[٢] فزع عبد المطلب إلى الله تعالى يدعوه، دليل على أن مشركي العرب لم يكونوا ملاحدة، بل كانوا يؤمنون بالله رباً خالقاً ومدبراً.

[٣] إن الظلم لا يدوم، وإن طال زمانه، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً.

[٤] هزيمة أبرهة بخارقة لم يعرف مثلها، دليل على قرب طلوع الفجر المحمدى.

[٥] أهمية التجارة العربية، ومحاولة أعداء الإسلام استغلالها من قديم الزمان.

[٦] وجوب شكر الله على نعمه.

[٧] بيان إكرام المولى عز وجل لقريش، بحماية البيت، قال رسول الله ﷺ:

"إن الله فضل قريشاً بسبع خصال، لم يعطها قبلهم أحداً ولا يعطيها أحداً بعدهم؛ إن الخلافة فيهم، والحجابة فيهم، وإن السقاية فيهم، وإن النبوة فيهم، ونصروا على الفيل، وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم، ونزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش : ١].

نسب رسول الله ﷺ

- هو "محمد ﷺ ، السيد الأكرم الذي شرف الوجود بمولده.
- ابن عبد الله، من زوجه آمنة بنت وهب الزُّهْرية القرشية [١] .
- ابن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبة، من زوجه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة، المخزومية القرشية.
- ابن هاشم، واسم هاشم عمرو، من زوجه سلمى بنت عمرو النَّجَّارية الخزرجية.
- ابن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة، من زوجه عاتكة بنت مرة بن هلال السلمية، وهى إحدى العواتك السلميات، أمهات رسول الله ﷺ .
- ابن قُصَى،واسم قُصى زيد،من زوجه حُبَّى بنت حُليل الخزاعية ، وكان إلى قصى في الجاهلية حجابة البيت والسقاية والرفادة [٢] ، والندوة [٣] ، واللواء [٤] . ولقد ظلت الحجابة بيد بني عبد الدار، وأقرها لهم الشرع فهى فيهم إلى الآن، وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار. وانتقلت السقاية والرفادة إلى بني عبد مناف، وانتهت إلى العباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده.أما اللواء والندوة فقد أبطله الإسلام، وجعله حقاً للخليفة على المسلمين، يضعه فيمن يراه صالحاً.
- ابن كلاب، من زوجه فاطمه بنت سعد، وهي يمانية من أزد شنوءة.
- ابن مرة، من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك.

---

(١) من بنى زُهرة بن كلاب من قريش.

(٢) الرفادة: شئ كانت تترافد، أى تتعاون، به قريش فى الجاهلية، حيث يجمعون مالاً عظيماً، كل إنسان بقدر طاقته، ويشترون طعاماً ويطعمون الناس فى موسم الحج.

(٣) والندوة وهى الشورى لا يتم أمر إلا فى بيته.

(٤) واللواء، لا تعقد راية لحرب إلا بيده.

- ابن كعب، من زوجه وحْشِيَّة بنت شيبان من بني فهر.
- ابن لؤى، من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قُضاعة.
- ابن غالب، من زوجه أم لؤى سلمى بنت عمرو الخزاعى.
- ابن فهر، وفهرهو الملقب بقريش وإليه تنسب القبيلة [١] ، من زوجه أم غالب ليلى بنت سعد من هُذَيْل.
- ابن مالك، من زوجه جَنْدلة بنت الحارث من جرهم.
- ابن النَّضر، واسم النَّضر قيس،من زوجه عاتكة بنت عدوان من قيس عَيْلان.
- ابن كنانة، من زوجه بَرَّة بنت مُر من أُدّ.
- ابن خزيمة، من زوجه عوانة بنت سعد من قيس عَيْلان.
- ابن مدركة، واسم مدركة عامر، من زوجه سلمى بنت أسلم من قُضاعة.
- ابن إلياس، من زوجه خُندف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة.
- ابن مُضَر، من زوجه الرباب بنت جندة بن معد.
- ابن نزار، من زوجه سَوْدة بنت عَكّ.
- ابن معد، من زوجه مُعانة بنت جوشم من جرهم.
- ابن عدنان.

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين، أما النسب فوق ذلك ففيه خلاف. ونسب رسول الله ﷺ ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. فلم يزل ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء حتى اختاره المولى عز وجل هادياً مهدياً من أوسط العرب نسباً.

---

(١) كانت قريش اثنتى عشرة قبيلة؛ بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار بن قصى، وبنو أسد بن عبد العُزَّى بن قصى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو تيم بن مرة، وبنو عدى بن كعب، وبنو سهم بن هصيْص بن عمرو بن كعب، وبنو عامر بن لؤى، وبنو تيم بن غالب، وبنو الحارث بن فهر، وبنو محارب بن فهر.

قال رسول الله ﷺ : "**ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مُصَفًّى مهذَّبا، لا تتشعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما**".

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على آبائه وأمهاته. قال رسول الله ﷺ : "**إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى من كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار**".

وعن أمهاته قال رسول الله ﷺ : "**أنا ابن العواتك** (١) **من سُلَيْم**" (٢).

وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً بحسب الأصول العربية، ولم ينل نسبه شئ من سفاح الجاهلية، بل طهره المولى عز وجل من ذلك، ولله الحمد والمنة.

---

(١) العواتك: اللواتي ولدن رسول الله ﷺ، عاتكة بنت هلال السلمية، وهي عمة عاتكة بنت مرة بن هلال، أم بني هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، أم وهب بن عبد مناف بن زهرة، جد المصطفى لأمه.

(٢) المحبر لأبو جعفر بن حبيب ص٤٧؛ الروض الأنف جـ١.

أسـرة رسـول الله ﷺ
"الأسـرة الهاشميـة"

تعرف أسرة رسول الله ﷺ بالأسرة الهاشمية، نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف. وكان اسمه عمرو، وسُمِّيَ هاشماً لهشمه الخبز. وكان هاشم موسراً ذا شرف كبير، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وأول من سن رحلتا الشتاء والصيف لقريش. وكان له أربعة بنين وخمس بنات (١).

❁ جد رسول الله ﷺ "عبد المطلب":

جد رسول الله ﷺ هو عبد المطلب واسمه شيبة، وإنما سمى كذلك لشيبة كانت في رأسه. وكانت قريش تسميه الفياض لسخائه. وكان شيخاً معظماً شريفاً، ذا فضل في قومه، يصدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم. وكان له عشرة بنين وست بنات (٢).

❁ والد رسول الله ﷺ عبد الله":

والد رسول الله ﷺ، هو عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو. وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم وأحبهم إليه، وهو الذبيح، ولذا فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أنا ابن الذبيحين؛ يعني إسماعيل وأباه عبد الله".

---

(١) أنجب هاشم؛ أسد وأبو صيفى ونضلة وعبد المطلب ومن البنات؛ الشفاء وخالدة وضعيفة ورقية وجنة.

(٢) أنجب عبد المطلب عشرة بنين هم؛ العباس، وحمزة، وعبد الله، وأبا طالب، والزبير، والحارث، وحَجْلاً (الغيداق)، والمقوم (عبد الكعبة)، وضراراً، وأبا لهب. وأما البنات الست فهن؛ أم حكيم (البيضاء) وهى توأمة عبد الله.، وبرة، وعاتكة، وصفية، وأروى، وأميمة.

زواج عبد الله بآمنة بنت وهب

أختار عبد المطلب لابنه عبد الله، آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بنت كلاب، وهى يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وأبوها سيد زهرة نسباً وشرفاً، فبنى بها عبد الله في مكة، وبعد قليل أرسله عبد المطلب إلى المدينة يمتار لهم تمراً، فمات بها [١]، وقيل خرج تاجراً إلى الشام ونزل بالمدينة في عير قريش وهو مريض، فتوفى بها، ودفن في دار النابغة الجعدى، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل أن يولد رسول الله ﷺ.

وهكذا نرى أن أصحاب الرسالات السماوية الكبرى؛ إسماعيل وموسى وعيسى ومحمد، عليهم جميعاً أزكى الصلاة والسلام، قد عُهد بهم في طفولتهم إلى الأمهات وحدهنَّ دون مشاركة الآباء، فلم تقم الأم بدورها الطبيعي فقط، بل عوضت إلى جانبه فقد الأب وغيابه، إذ الأمومة في عاطفتها السخية وإيثارها الباذل، أقرب إلى أن ترعى أصحاب الرسالات الدينية المصطفون لهداية البشرية.

(١) جميع ما خلفه عبد الله خمسة جمال، وقطعة غنم، وجارية حبشية اسمها بركه وكنيتها أم أيمن.

المولـــد الشريف

ولد سيد المرسلين ﷺ بدار أبي طالب بشعب بني هاشم بمكة، وكانت قابلته[١] الشفاء، أم عبد الرحمن بن عوف، في صبيحة يوم الأثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى، ويوافق ذلك العشرين أو الثاني وعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١م[٢].

ارهاصات المولـــد:

لما حملت آمنة بنت وهب برسول الله ﷺ أتاها آت: إنك حملت بسيد هذه الأمة. روى بن سعد أن أم رسول الله، ﷺ قالت: لما ولدت، خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام. وروى أحمد عن العرباض بن سارية ما يقارب ذلك. وقد روى البعض أن إرهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد؛ فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضبت[٣].

تسمية رسول الله ﷺ :

لما وُلِدَ رسول الله ﷺ أرسلت أمه إلى جده عبد المطلب، تخبره بحفيده، فجاء مستبشراً ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له. ومن الموافقات الجميلة أن يُلْهَمَ "عبد المطلب" تسمية حفيده "محمد"، وهذا الاسم لم يكن معروفاً في العرب، لذلك سألوه: لم رغبت عن أسماء آبائك؟، فأجاب: أنه أراد أن يحمده الله في السماء، وأن يحمده الخلق في الأرض. فكأن هذه الإراده كانت استشفافاً للغيب، فإن أحداً من خلق الله لايستحق الثناء على ما أدى وأسدى كما يستحق رسول الله ﷺ ذلك، فعليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات. وختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، كما كان العرب يفعلون[٤].

---

(١) قابلته أى التى استقبلته عند الولادة وهى المولدة.

(٢) حسبما حققه العلم الكبير محمد سليمان المنصورفورى والمحقق الفلكى محمود باشا.

(٣) روى ذلك البيهقى، ولا يقره محمد الغزالى.

(٤) وقيل أنه ولد مختوناً، وقال ابن القسيم ليس فيه حديث ثابت.

الرضاع

كان أول من أرضع رسول الله ﷺ ، ثُوَيْبَة، أَمَة عمه أبي لهب. وحاضنته أم أيمن بركة الحبشية، أمة أبيه عبد الله. وكانت العادة عند الحاضرين من العرب، أن يلتمسوا المراضع لأولادهم ابتعاداً عن أمراض الحواضر، لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم.

التمس عبد المطلب لرسول الله ﷺ الرضعاء واسترضع له امرأة من بني سعد، وهى حليمة بنت أبي ذؤيب - وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة، من نفس القبيلة [١] .

ورأت حليمة من بركته ﷺ ما قصت منه العجب، كانت سنواتها عجافاً من قبله، فامتن الله عليها بخير مضاعف؛ درت الضروع بعد جفاف، ولان العيش وأخصب، وشعرت حليمة وزوجها وولدها بأن أوبتهم من مكة كانت باليمن والغُنم لا بالفقر واليتم.

قال ابن إسحاق :

"كانت حليمة تحدث أنها خرجت من بلدها، مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نسوة من بني سعد، تلتمس الرضعاء، قالت وكان ذلك في سنة شهباء، لم تبق لنا شيئاً، قالت فخرجت على أتان [٢] لي قمراء [٣] ، معنا شارف [٤] لنا ، والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع، من صبينا الذي معنا،

---

(١) وأخوته ﷺ هناك من الرضاع عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وحذافة او جذامة بنت الحارث "وهى الشيماء" وكانت تحتضن رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ ، وكان حمزة عمه رضيع رسول الله ﷺ من وجهين من جهة ثويبة ومن جهة السعدية.

(٢) أتان: أى حمارة.

(٣) القمرة: لون إلى الخضرة، وقيل بياض فيه كدرة. يقال حمار أقمر وأتان قمراء أى بيضاء.

(٤) الشارف: أى الناقة التى قد أسنت.

من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجوا الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أدمت بالركب [١] حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء. فما منا امرأة وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها أنه يتيم، وذلك إنَّا كنا نرجوا المعروف من أبي الصغير، فكنا نقول: يتيم !! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معى إلا أخذت رضيعاً غيره، فلما أجمعنا الإنطلاق، قلت لصاحبى: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم، فلآخذنَّه. قال: لاعليك أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا إني لم أجد غيره.

قالت: فلما أخذته، رجعت إلى رحلي ، فوضعته في حجرى، فأقبل عليه ثدياىَ، بما شاء من لبن، فشرب حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك. وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هى حافل [٢] ، فحلب منه، وشرب وشربت معه، حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة. قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا، وركبت أنا أتانى، وحملته عليها معى، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شئ من حمرهم،حتى إن صواحبي ليقلنَّ لى: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك، أربعي [٣] علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهنَّ: بلى والله، إنها لهى هى، فيقلنَّ: والله إن لها شأناً، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت

---

(١) أدمت بالركب: سكنت حركتهم لبطء دوابهم، أى دام سفرهم بسبب ضعف دابتهم.

(٢) حافل: أى اجتمع فيها اللبن.

(٣) اربعى علينا: أى انتظرينا بعض الوقت.

غنمي تروح عليَّ، حين قدمنا به معنا، شباعاً لُبَناً [١] ، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامه جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً [٢] . قالت فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ فاني أخشى عليه وباء مكة. قالت فلم نزل به حتى ردته معنا [٣] .

هكذا كان استرضاعه ﷺ في بادية بني سعد، شأنه شأن أبناء سادات قريش، يرضعون أولادهم في البوادي ليصحوا أجساماً، ويفصحوا لساناً، ويقووا جناناً. وقد كان رسول الله ﷺ معتزاً بشرف أصله واسترضاعه في البادية، قال ﷺ : "أنا أعربكم، أنا قرشي واسْتُرْضِعْتُ في بني سعد بن بكر".

الدروس المستفادة:

[١] بيان آيات النبوة المحمدية التي رأتها أمه آمنة بنت وهب يوم حملها ووضعها.

[٢] بيان مدة الرضاعة، وأنها حولين كاملين، وهي المدة التي أقرها الإسلام.

[٣] بيان ما نال حليمة السعدية وأسرتها من خير وبركة وما فازت به من شرف.

[٤] جواز الاعتزاز بالخير الذي يعطيه المولى تبارك وتعالى لعبده، ويكرمه به، لكن مع شكر المولى سبحانه وتعالى على ما أعطى للعبد من خير وفضل.

---

(١) شباعاً لُبَنا: أى غزيرات البن.

(٢) الجفر: استجفر الصبى إذا قوى على الأكل واستغنى به عن اللبن.

(٣) ابن هشام ١ / ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤ .

حادثـــة شـــق الصدر
وعودة محمد ﷺ إلى أمه

بقي رسول الله في بني سعد حتى إذا كانت السُّنَّة الرابعة أو الخامسة من مولده، وقع حادث شق الصدر.

روى مسلم عن أنس: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق صدره عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء من زمزم، ثم لامه، ثم أعاده إلى مكانه.

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعنى ظئره [١]، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون [٢].

وبعد واقعة شق الصدر، خشيت عليه حليمة، فردته إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين.

---

(١) ظئره: المرضعة.

(٢) منتقع اللون: أى متغير اللون.

كفـــــلاء المصطفى ﷺ

[١] في كفالة أمـــه :

مكث محمد ﷺ عند أمه، بعد واقعة شق الصدر، إلى أن بلغ ست سنين. ورأت أمه آمنة بنت وهب، وفاء لذكرى زوجها الراحل، أن تزور قبره بيثرب، فخرجت من مكة، قاطعة رحلة تبلغ خمسمائة كيلو متراً، ومعها ولدها اليتيم، محمد ﷺ وخادمتها أم أيمن، وقيمها عبد المطلب، فمكثت شهراً، ثم قفلت، وبينما هى راجعة إذ لاحقها المرض، وألح عليها في أوائل الطريق، فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة.

[٢] في كفالة جده عبد المطلب:

عاد عبد المطاب إلى مكة، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده تربو نحو حفيده اليتيم، ورق عليه رقة لم يرقها على أحد من بنيه، فكان يؤثره على أولاده، وكان لا يجلس على فراش عبد المطلب في ظل الكعبة،أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتى، وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه،فيقول عبد المطلب، إذا رأى ذلك منهم:دعوا ابني هذا، فوالله إن له لشأناً، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده ويسره مايراه يصنع. ثم توفى جده عبد المطلب وعمر رسول الله ﷺ يومئذ ثمان سنوات وشهرين وعشرة أيام.وكان عبد المطلب، قبل وفاته، قد عهد بكفالة حفيده إلى عمه أبي طالب شقيق أبيه.

[٣] في كفالة عمه أبي طالب:

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير. وظل أكثر من أربعين عاماً يقف بجانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.

وقد ظل أبو طالب يبعث مع رسول الله ﷺ رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزل قول المولى عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] ، فقال له رسول الله ﷺ : ياعم، إن الله تعالى قد عصمني من الجن والأنس.

الدروس المستفادة:

[١] بيان يتم رسول الله ﷺ ؛ إذ مات أبوه قبل أن يولد، وماتت أمه وهو في السادسة من عمره. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ ﴾ [الضحى: ٦] .

[٢] بيان بعض حكم المولى عز وجل في أن يولد رسول الله ﷺ يتيماً، ثم لا يلبث أن يفقد أمه، ثم جده، حتى لا يكون للمبطلين سبيل إلى إدخال الريبة في قلوب الناس بأن محمد ﷺ إنما رضع لبان دعوته ورسالته منذ صباه من أبيه وجده.

مظاهر الكمال المحمدي

[١] الاستسقاء بوجهه الشريف ﷺ :

أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة، وهم في قحط، فقالت قريش : يا أبا طالب، أقحط الوادى، وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام، كأنه شمس دجن، تجلت عنه سحابة قتماء، حوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب، فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق وأغدودق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي ، وإلى هذا أشار أبو طالب حين قال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال[١] اليتامى عصمة[٢] للأرامل[٣]

[٢] رحلته الأولى إلى الشام وبحيرا الراهب:

خرج أبو طالب في تجارة إلى الشام، واصطحب معه الغلام اليتيم محمد ﷺ وعمره يومئذ اثنتي عشرة سنة، وقيل وشهرين وعشرة أيام[٤] . ولما وصلا إلى بصرى أكرمهم الراهب بحيرا واسمه جرجيس بالضيافة، وكان لا يخرج قبل ذلك، وعرف رسول الله ﷺ بصفته، وقال وهو آخذ بيده؛ هذا سيد المرسلين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين.فقال أبو طالب وما علْمُكَ بذلك؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة، لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً، ولا تسجد إلا لنبى، وإني لأعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنَّا نجده في كتابنا، وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به إلى الشام، خوفاً عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة[٥] .

---

(١) ثمال : أى غياثهم وملجاوهم. (٢) عصمة للأرامل : أى يمنعهم من الضياع ويسد حاجتهم.
(٣) مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبد الله النجدى ص ١٥، ١٦ .
(٤) قاله ابن الجوزى فى تلقيح فهوم الأثر.
(٥) مختصر سيرة رسول الله ﷺ للشيخ عبد الله النجدى ص ١٦؛ ابن هشام ١ / ١٨٠- ١٨٣ .

[٣] حضوره حرب الفجار:

حضر رسول الله ﷺ حرب الفجار، بين قريش ومن معهم من كنانه وبين هوزان "قيس عيلان" . وكان سببها أن رجلاً من قريش غدر برجل من هوزان، فقتله في الأشهر الحرم،وهي الأشهر التي حُرِمَ فيها القتال، وكان العرب يقدسونها ويمتنعون فيها عن القتال. ولذلك سميت بحرب الفجار لإنتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها.

وقد ساهم فيها رسول الله ﷺ مع قومه وهو يومئذ بين الخامسة عشرة والعشرين، فكان ينبل على عمومته، أي يجهز لهم النبل للرمي [١] . وكان قائد قريش وكنانه، حرب بن أمية، لمكانته فيهم سناً وشرفاً، وكان الظفر أول النهار لقيس على كنانه، حتى إذا كان وسط النهار، كان الظفر لكنانه على قيس، ولم تنته هذه الحرب إلا بعد أن تصالحت قريش وهوزان على أن يَعُدّوا القتلى في كلا الفريقين، ثم يأخذ الفريق الأقل عدداً في القتلى، دية العدد الذي يزيد على قتلاه.

[٤] حضوره حلف الفضول:

عند رجوع قريش من حرب الفجار، تداعوا لحلف الفضول، فتم ذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمى، أحد رؤساء قريش، وكان المتحالفون بني هاشم وبني عبد المطلب ابني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهره بن كلاب، وبني تميم بن مرة. تحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً، من أهلها أو من غيرها، من سائر الناس، إلا قاموا معه حتى ترد إليه مظلمته.

وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ مع أعمامه، وقال رسول الله ﷺ ، بعد أن شرفه المولى عز وجل بالرسالة: "**لقد شهدت مع عمومتى حلفاً في دار عبد الله**

---

(١) ابن هشام ١ / ١٨٤- ١٨٧ ، قلب جزيرة العرب ص ٢٦٠ .

ابن جدعان، ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت". وذلك لأنه ﷺ مبعوث بمكارم الأخلاق، وهذا الحلف من أحسن الأخلاق، وقد أمر دين الإسلام بالكثير منها، والدليل على ذلك قوله ﷺ : **" بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"**.

[٥] رحلته ﷺ إلى الشام "المرة الثانية":

كانت خديجة بن خويلد رضي الله عنها امرأة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها، مع غلام لها يدعى ميسرة، تاجراً إلى الشام،وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار. فقبل رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام.ولما رجع إلى مكة، رأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة، مالم تر قبل ذلك. كما حدثها غلامها ميسرة بما رأى في رسول الله ﷺ من خلال عذبة وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، بالإضافة إلى بعض الخوارق، حدثت له ﷺ ؛ كالسحابة التي ظلت فوق رأسه تظله من لفح الشمس وهجير الصحراء.

[٦] زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها:

وجدت خديجة رضي الله عنها ضالتها المنشودة، وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها، فتأبى عليهم ذلك. فتحدثت بما في نفسها مع صديقتها نُفَيْسَة بنت مُنْية، وهذه ذهبت بدورها إلى محمد ﷺ تفاتحه في ذلك، فرضي ﷺ وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة، عمرو بن أسد، وخطبها عمه أبو طالب إليه ﷺ ، وكان عمره يومئذ خمسة وعشرين عاماً، وعمرها أربعين عاماً، وتم الزواج وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة.

وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت. وأنجب منها أولاده جميعاً سوى إبراهيم؛ فقد ولدت له أولاً؛ القاسم، وبه كان رسول الله ﷺ يكنى، ثم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله، وكان عبد الله يلقب بالطيب، والطاهر. ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهنَّ أدركنَّ الإسلام، فأسلمنَّ وهاجرنَّ، إلا أنهنَّ أدركتهنَّ الوفاة في حياته ﷺ ، سوى فاطمة رضي الله عنها فقد تأخرت بعده ستة أشهر ثم لحقت به.

[٧] تحكيمه في الحجر الأسود عند بناء الكعبة:

لما بلغ رسول الله ﷺ خمس وثلاثين سنة، جاء سيل جارف، فصدع جدران الكعبة، فضلاً عن كونها كانت رضماً فوق القامة، أي مبنى بالصخر، ولم يكن لها سقف، وسرق نفر من اللصوص كنزها الذي كان في جوفها. فاتفقت قريش على تجديد بنائها، حرصاً على مكانتها، واتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس.

ابتدأ الوليد بن المغيرة المخزومي بهدم الكعبة، وتبعه الناس، لما رأوا أنه لم يصبه شئ، لأنهم كانوا يهابون هدمها. ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، أو أساس إسماعيل. ثم أرادوا البناء، فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزء منها، فجمعت كل قبيلة الحجارة على حدة، وأخذوا يبنوها، وجعلوا الأشراف يحملون الحجارة على أعناقهم، وكان العباس ورسول الله ﷺ فيمن يحمل. وكان الذي يلي البناء، بناء رومي اسمه باقوم. ولما ارتفع البناء ثماني عشرة ذراعاً، بزيادة تسع أذرع عن أصله، رُفِعَ الباب عن الأرض، بحيث لايصعد إليه إلا بدرج.

ثم أرادوا وضع الحجر الأسود موضعه، فاختلف أشرافهم فيمن ينال هذا الشرف، وتنافسوا حتى كادت تشب بينهم نار الحرب، واستمر النزاع أربع ليال أو خمس، وكان أسن رجل إذ ذلك أبو أمية بن المغيرة المخزومى، عم خالد بن

الوليد، فقال لهم ياقوم لاتختلفوا وحكموا بينكم من ترضون حكمه، فقالوا نكل الأمر لأول داخل، فكان هذا الداخل هو الطاهر المطهر محمد ﷺ ، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين رضيناه، هذا محمد، إذ كانوا يتحاكمون إليه قبل ذلك.

فطلب رسول الله ﷺ رداء ووضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً، باطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلا موضعه، أخذه رسول الله ﷺ بيده الشريفة، فوضعه في مكانه. وهكذا حقن رسول الله ﷺ مبعوث السلام، وحامي الأمن والأمان، دماء قريش، وعادت الألفة والمحبة بين قبائلها. فكان هذا الحل الحصيف الذي رضى به القوم، أكبر مظهر من مظاهر الكمال المحمدي قبل إنبائه وإرساله نبياً ورسولاً.

[٨] سيرته في قومه قبل البعثة:

كان رسول الله ﷺ أحسن قومه خلقاً، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق المدنسة للرجال، حتى كان أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة، وخيرهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأعدلهم وأصوبهم رأياً، وأجملهم عطف ورحمة، وشهد له ألد أعدائه، النضر بن الحارث من بني عبد الدار، حيث قال: "قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم ساحر، لا والله، ماهو بساحر".

وقد حفظه المولى عز وجل، في صغره من كل أعمال الجاهلية، ، جاء الشرع الحنيف بتحريمها، وبُغضت إليه الأوثان بغضاً شديداً، حتى ما كان يحضر احتفالاً أو عيداً من أعياد الجاهلية. قال رسول الله ﷺ : "لما نشأت بُغضت إليَّ الأوثان والشعر، ولم أهم بشئ مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين؛ كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ماهممت بسؤ بعدها حتى أكرمني الله برسالته. قلت ليلة لغلام كان يرعى معى: لو بصرت لي غنمي ،حتى أدخل مكة،

فأسمر كما يسمر الشباب، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً والمزامير لعرس بعضهم، فجلست لذلك، فضرب الله على أذني ، فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس، ولم أقضي شيئاً، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك" .

وكان رسول الله ﷺ لا يأكل ما ذبح على النصب، وحرم شرب الخمر على نفسه، مع شيوعه في قومه شيوعاً عظيماً. وذلك كله من الصفات التي يحلى الله بها أنبياءه، ليكونوا على تمام الإستعداد لتلقي وحيه، فهم معصومون من الأدناس قبل النبوة وبعدها.

الدروس المستفادة:

[١] عناية المولى عز وجل برسوله ﷺ وحفظه له من كل ما يسئ إلى مقامه الرفيع.

[٢] حرمة كشف العورات.

[٣] بيان مشاركة النَّبي ﷺ قومه فيما هو خير ومعروف، وهو مظهر من مظاهر كماله ﷺ ذاتاً وروحاً وخلقاً.